

في الواجهة

ميشال إده: تعذر الرئاسة المسبقة الدفع

الوزير السابق ميشال إده الذي رحل الأحد، مثل نموذجاً للانتخابات رئاسة الجمهورية لا تقتصر على مواصفات، بل ترتبط بخيارات تكون أحياناً مكلفة، لا يدفعها المرشح فلا يصل، أو يدفعها الرئيس بعد أن يصل.

نقولاً ناصف

مرات وفيرة جيء على تداول اسم ميشال إده مرشحاً جدياً للرئاسة، فاتحتها عام 1982.

لسنة خلت، ايلول 1981، أخطره الرئيس اليباس سركيس إن في الإمكان العمل على ترشيحه. اضافة: «لديك حظ، لا تغادر البلاد، الانتخابات على الإيواب». وقال إنه سيسعى له أو لريته معوض - وكلاهما رفيقاه في كلية الحقوق في جامعة القديس يوسف بين عامي 1945 و1948 - من دون أن يستبعد احتمال فوزه ما لم تحصل مفاجات. قال أيضاً إن بشير الجميل يفكر بدوره في الرئاسة في ظل تغييرات يتوقعها، لكنه مستعد لدعم ترشيحه إذا تعثرت التغييرات هذه: «البيت لدى بشير الآن حظوظ بالفوز، لكنه لن يسمح لأي آخر سواك بأن يُنتخب».

في آذار 1982، أبلغ سركيس إده إن بشير فاتحه في إمكان التمديد له سنتين فرفض بسبب مرضه. اضافة الرئيس بعدما لمس من قائد القوات اللبنانية تقديراً لإده: «إذا فيه انتخابات لن أمدد، لكن بيمشي فيك بشير». لم يعد الأمر اتفاقاً شفويًا بين سركيس وبشير.

في وقت لاحق دعا بشير إده إلى أداء في منزله في الاشرافية، إلى المائدة كمر موقف الدعم له: «لا حظ لي الآن، لكنك ستمهّد الطريق لي». تكررت من ثم لقاءاتهما وحضر عدداً منها زاهي البستاني.

طلب منه بشير مساعدته على التعرّف إلى السفير السوفياتي الكسندر سولدراتوف - ولم تكن ثمة معرفة سابقة بينهما - فجمعهما لاحقاً في منزله في البرزة، في ايار 1982، واتاح لهما أن يختلعا بعض الوقت. قال سولدراتوف لصديقه الوزير اللبناني الموصوف بـ«الماروني الأحمر» من فرط ثقافته الموسوعية في الشيوعية والماركسية والصهيونية واليهودية: «حظوظك متقدمة، بشير لن يمر».

إده لكنعان: اربع خمس مرات رئيساً في الجيبة؟ هذه جيبة مفخوتة

في 4 حزيران 1982 حصل الاجتياح الإسرائيلي حاملاً معه رياح التغيير التي كان ينتظرها بشير لتحمله إلى الرئاسة. كان إده، لأيام قليلة خلت، في زيارة رسمية لوسكو. في 6 حزيران قفل عائداً إلى لبنان بعدما استعجله رئيس الجمهورية زكوب اول طائفة: «غد فوراً، هناك حرب». فور هبوطه من الطائرة توجه إلى قصر بعبدا. عند المدخل، الرابعة بعد الظهر، التقى بشير في برّته العسكرية وكان في زيارة الرئيس، فبادره قائلاً بالفرنسية: «أسف ميشال، هذه المرة أنا من سيكون». في 23 آب انتخب بشير، وفي 14 ايلول



خادم لجنبلاط: إده كنيسة متجولة

جوابه الطبيعي: «هذه اقتناعاتي، أنا ضد الإسرائيليين، وهو موقف اساسي للموارنة، لكنني لست ضد اليهود. احبهم ولي بين اليهود الاميركيين اصدقاء كثيرون كدنيس روس ومارتن انديك». عقب الشهابي: «نحن متفقون معك على كل شيء وإن شاء الله خيراً، لكن لدي سؤال واحد. ماذا ستفعلون مع حالة عون؟». رد: «لا مشكلة معه».

سال: «كيف؟». قال: «ليس لدينا في لبنان ثقافة الانقلابات. ميشال عون ضابط وفي جيشنا انضباط. لا ثورات ولا انقلابات، ما ان يُنتخب رئيس جديد يعود إلى مكتبه».

قال الشهابي: «ليس هذا رأينا». سال إده: «ما هو رأيكم؟». اجاب: «لازم ينمعد قتلة».

سال: «كيف؟ ومن بدو يمعطو القتلة؟». قال: «نحن. لا يمكن ان يستمر، ونحن من سيضربه بعد ان نتلقى الامر من الرئيس».

بانفعال رد إده: «إياكم ان تفكروا في ذلك. انكم ستضربون الموارنة قائلين مارونين. لو كان 80% من عسكرييه من طوائف اسلامية، فهو عند الموارنة جيشهم. تضربون الجيش؟ لا احد يقبل بذلك، ولا أنا». سال الشهابي: «هل هذا هو رأيك؟». رد: «اكيد. هل تريدون ضرب الجيش اللبناني من خلالي، أنا الماروني؟». ايضاً.

ختم الشهابي الحديث: «ليس هذا رأينا. سيادة الرئيس كان يعترزم استقبالك، وحجزنا لك جناحاً في فندق الشيراتون، وحددنا لك موعداً معه غداً صباحاً كي نعلن رسمياً تأييدنا ترشيحك، هل لا تزال على موقفك؟». كرر تاكيده بعبارة: «لا تغلطوا ابدأج. عقب الشهابي: «الوضع الآن متغير. سوف نرى. نتحدث في الموعد مع الرئيس لاحقاً».

في طريق العودة هطل عليه سامي الخطيب وميشال سماحة ومحسن دلول الذين كانوا يسوقون ترشيحه بعبارات الملامة والغضب لإهدار الفرصة: «كان في امكانك ان تقول له أدرس الموضوع، أفكر فيه». رد: «لا افكر فيه حتى. درسه يعني الموافقة عليه. غير وارد».

ختموا: «طارت الرئاسة». بانقضاء شهرين، اواخر آب 1989، في ظل اشتعال الحرب بين ميشال عون والجيش السوري، عاود الثلاثة مكالمته إده: «العماد حكمت يريد الاجتماع بك مجدداً». كانت تلك المرة الرابعة. في الموعد الثاني طُرح الموضوع نفسه، وكانت مواقف الرجلين اياها من غير ان يتزحزح احد عن وجهة نظره.

اول اسئلة الشهابي: «هل لا تزال عند رأيك؟». اعاد الجواب نفسه: «لا تفكروا في ذلك».

قض عليه إده فحوى مقابلته مع الشهابي في تموز وأب المنصرمين. عقب الرئيس: «لا تخف، علاقتي جيدة بالرئيس حافظ الاسد. ساعدته في تعيين فؤاد بطرس وزيراً للخارجية. اعرف انهم يكرهونه، لكنني ساندتبر الامر مع الاسد».

كان معوض، عشية انتخابه في القليعات، اجتمع سرا بالاسد في دمشق وناقشا المرحلة التالية. في باريس تلقى إده نبأ اغتيال الرئيس، صديقه طوال 44 عاماً: «في ظن ريته واعتقاده ان الرئيس السوري ضمانه. ربما فكر السوريون انه - بعدما ابدوا انتخابه - لن يرفض طلبهم ضرب عون عسكرياً. لو قبلت أنا لما قتل هو، وربما لما صار رئيساً. عندما قتل لهم لا، لم أقتل. حينما قال هو لا قتل. حظي احسن من حظه».

خامس المرات عام 1998، قبل حسم دمشق في تشرين الاول خيارها تسمية قائد الجيش العماد اميل لحود رئيساً. قبل موعد قمة لبنانية - سورية في دمشق في ذلك الشهر، فاتحه الرئيس اليباس هراوي - العارف بحماسة السوريين لانتخاب لحود - بسعيه في القمة تلك إلى تعطيل رسو الخيار على قائد الجيش: «عندما اتلقى خبراً بموعد لقائي به ساسارع الى طرح اسمك».

بعد الظهر، في طريق عودته من دمشق، خابر هراوي إده: «أصر على ان يكون هو رئيساً ولم يقبل بأي اسم آخر، حتى انت».

بعد سنة زاره اللواء غازي كنعان الذي كان يفضل زيارته في البرزة لا استقباله في عنجر: «كادت الرئاسة تصل اليك. كانت في جيبي».

اجابه: «اربع خمس مرات في الجيبة. هذه جيبة مفخوتة».

قال كنعان: «كنا نريدك انت، لكن حصل صراع تركي - سوري حول عبدالله اوجلان. لم تكن نود مشكلة مع الاتراك ولا ان تصل تداعيات نزاعنا معهم إلى لبنان، فقرر الرئيس الإبقاء على لحود».

في المرة السادسة، عشية انقضاء ولاية رئيس الجمهورية عام 2007، تدخل وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنير في وساطة تجنب البلاد شغوراً رئاسياً جراء تعذر الاتفاق على رئيس يخلف لحود. عهد إلى الجطريك الماروني مارنصرالله بطرس صغير وضع لألحة باسماء مرشحين محتلمين بحملها جان كلود كوسران باسم كوشنير إلى الرئيس السوري لاختيار اسم من بينها، كان إده احدها.

حينذاك اجتمع إده بسعد الحريري، رئيس الغالبية النيابية، في حضور فريد مكاري، مرتين على التوالي السؤل المحوري الذي ألح على حصول جواب عنه كي يؤيد ترشيحه: «هل تعطيني ضماناً بعدم اطلاق الضباط الاربعة (المشتبه في اغتيالهم الرئيس رفيق الحريري)؟».

جواب إده: «الترزم ما يقرره القضاء اللبناني، التزم عدم التدخل لديه، لكن ما يقرره احترامه واطبقه». كرر الحريري تاكيد عدم اطلاقهم أباً تكن الاعتبارات، فأكد إده الجواب نفسه: «المسألة ليست عند رئيس الجمهورية ولا صلاحية له في ذلك. انها مهمة القضاء المستقل له في ذلك. اخفق اتفاقهما رغم معرفة الحريري بأن الرجل هو المرشح الاول للبطريك الماروني في مرحلة تلك رئيس تيار المستقبل بجمال سيد بكركي، ويحرص على التواصل معه ونيل دعمه».